

التشكّل الأسلوبي للمثل القرآني الكامن

"دراسة تحليلية بلاغية وأسلوبية"

Stylistic formation of the underlying Quranic parable

"Rhetorical and stylistic analytical study"

د . علي زواري أحمد¹

جامعة الوادي

soufislam@gmail.com

تاريخ الوصول: 2018/10/04 القبول: 2019/05/27 /النشر على الخط: 2020/03/15

Received: 04/10/2018 / Accepted: 27/05/2020 / Published online : 15/03/2020

الملخص

بحثنا يتحدث عن نوع من الأمثال القرآنية؛ يسمى المثل الكامن، وقد تناولت هذه الدراسة التشكل الأسلوبي الذي جاء به هذا النوع من الأمثال، وعليه قمت بتعريف المثل الكامن، ثم تطرقت إلى التشكل في الأساليب الإخبارية، والتشكل في الأساليب الإنشائية، وقمت بتحليل ذلك لبيان أهم الإجراءات الأسلوبية الكامنة في المثل ورصدت أهم الأغراض البلاغية التي أنتجها التشكل الأسلوبي، وبعدها حاولت الوقوف على القيم الأسلوبية الكامنة وراء هذا التشكل.

الكلمات المفتاحية

المثل الكامن؛ الإجراءات الأسلوبية؛ الغرض؛ الإخباري؛ الإنشائي؛ القيمة الأسلوبية.

Summary

Our research talks about a kind of Qur'anic proverbs called the latent proverb, and this study examined the stylistic formation of it, and I defined it, and I showed examples of it for representation and statement, then I touched upon the formation in the news styles that make up it, and then the structural methods, and I analyzed that to a more important statement The stylistic procedures inherent in the underlying ideals and monitored the most important rhetorical purposes that were produced by stylistic morphology and its purpose, and then tried to find out the stylistic procedures and values underlying this morphology.

key words:The ideals, stylistic procedure, purpose, news, structural, stylistic value.

مقدمة

تشكّل الأمثال جزءاً هاماً من بنية النص القرآني الكريم، وتشغل حيزاً معتبراً من بين فنونه التي حوّاها، بل تعدّ الأمثال أسلوباً من أساليبه المتميز التي خاطب بها المتلقين، ولهذا أحدثت أمثال القرآن الكريم ثورة جديدة في الأساليب العربية المنتهجة في ضرب الأمثال، وهذا ما جعل الدارسين يعطونها لفتة معتبرة ضمن الدراسات القرآنية المختلفة، وقد لاحظت من تتبعي لهذه الدراسات أن ثمة اعتناء كبيراً بالأمثال القرآنية الظاهرة، في حين نلاحظ ندرة الدراسات في الأمثال الكامنة؛ بل يمكن القول غير مبالغين أن هذا النوع من الأمثال منعدمة فيه الدراسة، كل ما فيها جمعها أو التطرق لبعضها أثناء مقارنة في جزئية ما في قضية أخرى، ولكن لا توجد فيها أي دراسة من الدراسات في حدود بحثي المتواضع، ولذا اخترتها لتكون موطناً لبحثي هذا، وخصصت الدراسة فيها للتنوع الأسلوبي، وعليه كان عنوان هذا البحث موسوماً بـ: التشكل الأسلوبي للمثل القرآني الكامن "دراسة تحليلية بلاغية وأسلوبية".

وتبرز إشكالية هذه الدراسة في مدى التشكل الحاصل في أسلوب هذا النوع من الأمثال، وبيان أهم الإجراءات الأسلوبية التي أنتجها هذا التشكل في بنية المثل، والأغراض التي رمى إليها من خلال هذا التشكل، ومن هذا الإشكال جاءت الأسئلة الفرعية التالية: ما هو المثل الكامن؟ وما هي أنواع الأساليب التي ورد بها؟ وما أثر تلك الإجراءات الأسلوبية في توجيه المثل؟ وما هي أهم أغراضه البلاغية الناجمة عن تنوع أساليبه؟

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقرائي الذي من خلاله تمكنت من تصنيف المادة وإحصاء كل صنف فيها ثم دراستها وتحليلها، وبهذا تمكنت من طرح الموضوع في ثلاث عناصر رئيسية تجمع مجموعة من التفرعات، وهذه الثلاث هي:

أولاً - التعريف بالأمثال الكامنة.

ثانياً - تشكل الأسلوب الإخباري في المثل الكامن.

ثالثاً - تشكل الأسلوب الإنشائي في المثل الكامن.

ونبدأ بالعنصر الأول:

أولاً - التعريف بالأمثال الكامنة

الأمثال الكامنة عبارة عن ورود أقوال وأمثال مشهورة عند العرب بحثوا لها عن نظائرها في القرآن الكريم فوجدوها توافق في معناها بعض الآيات القرآنية، فأصبحت تلك الآيات تسمى بالأمثال الكامنة، فأخذت مسمى وحكم الأمثال كما قال الزركشي (ت: 794هـ) عن المثل القرآن: «وهو قسمان ظاهر وهو المصرح به، وكامن وهو الذي لا ذكر للمثل فيه، وحكمه حكم الأمثال»⁽¹⁾.

وقد بلغنا منها كتاب "الأمثال الكامنة في القرآن الكريم" للحسين بن الفضل البجلي الكوفي أبو علي (ت: 282هـ)، الذي سنعتمد عليه في دراستها، وهذا يجعل دراستنا مضبوطة بمدونة معروفة يسهل الرجوع إليها، وقبل أن نبدأ في التحليل لا بأس أن

1 - بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 1/ 486.

نعطي بعض النماذج عن هذا النوع من الأمثال ليتضح لنا، وقد ورد على شكل محاورة بين والد إسحاق إبراهيم بن مضارب والحسين بن الفضل⁽¹⁾:

قال أبو إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم بن طوق: سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل؛ فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله تعالى: (خير الأمور أوسطها)؟ قال: نعم، في أربعة مواضع: الأول - في "البقرة" في قوله تعالى: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ البقرة: 68، والفارض: المسنة. الثاني - وفي قوله تعالى في "النفقة": ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان: 67. الثالث - وفي قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم والآية في "الصلاة": ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ الإسراء: 110.

الرابع - وفي قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ الإسراء: 23. قلت: فهل يوجد في كتاب الله تعالى: (من جهل شيئاً عاداه)؟ قال نعم، في موضعين: في قوله عز وجل: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ يونس: 39، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَلِيمٌ﴾ الأحقاف: 11. قلت: فهل يوجد في كتاب الله تعالى: (احذر شر من أحسنت إليه)؟ قال: نعم، قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ التوبة: 74.

فهذا جزء من هذه المحاورة الطريفة - ومازال الحوار متواصلا - نستشف منها مجموعة من الأمثال الكامنة، وفيها ستة وثلاثون مثلاً عربياً جاء بنظائرها من القرآن الكريم، ثم تبعها المحقق بخمس وعشرين أخرى جمعها من بعض النسخ، فبلغ العدد الإجمالي في الكتاب واحد وستون مثلاً، وفي حدود بحثي وما توصلت إليه فهذا النوع من الأمثال لم يسبق وأن دُرِسَ بأي نوع من الدراسة، ونبدأ الآن بتحليل بعض النماذج منه بما يسمح به المقام، وبما يتلاءم والحجم الكمي للبحث، وسوف نختار النماذج القصيرة ليتاح لنا ما نريد، فننتقل في تحديد نوع الأسلوب، وبعدها نقوم بتحليل كل نوع على حده، وعندما قمت بعملية استقراء للأمثال الكامنة وجدت أن الثلثين منها ورد - ابتداءً - بصيغة الجملة الفعلية، والثلث الباقي ورد بصيغة الجملة الاسمية، وأغلبها - إن لم نقل كلها - لا تخلو من جمل أخرى داخل تركيبها، ونحن نريد أن نقف على ذلك من خلال دراسة الأسلوبين؛ الإخباري والإنشائي.

ثانياً - تشكّل الأسلوب الإخباري في المثل الكامن

الأسلوب الإخباري له جمل فعلية وأخرى اسمية، ونفس الشيء مع الأسلوب الإنشائي، وبالتالي سنقوم بعملية رصد وتحليل لكل واحد من الأسلوبين من خلال ما ورد فيه من جمل.

1 - الجمل الفعلية

الأسلوب الإخباري في المثل الكامن جاء ثرياً ومتنوعاً، من ذلك أنه ورد في مجموعة منه بالجمل الفعلية المختلفة الأشكال، منها ما جاء على الأصل، وهو إلقاء الخبر من غير مؤكدات، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ يونس: 39،

1 - ينظر - الحسين بن الفضل: الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، ص: 25 وما بعدها.

فترى أنها فعلية (كذبوا) خبرية من غير مؤكدات على ضرب الخبر الابتدائي، الغرض منه التوبيخ⁽¹⁾ لأن الإخبار عن تكذيبهم بأنه دون الإحاطة بعلم ما كذبوا به، وقد جاء بحرف الإضراب (بل) لبيان كنه تكذيبهم⁽²⁾؛ فهو إضراب وانتقال عن إظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي إلى إظهاره ببيان أنه كلام ناشئ عن عدم علمهم بكنه أمره والاطلاع على شأنه الجليل⁽³⁾، أو بمعنى أضرب عن الكلام الأول، وانتقل إلى بيان أنهم سارعوا إلى تكذيب القرآن قبل أن يتدبروه ويفهموا معانيه وما اشتمل عليه⁽⁴⁾.

ولذا تكمن القيمة الأسلوبية لهذا الغرض التوبيخي كونهم تبنا التقليد وتركوا النظر العقلي؛ كأنه «قيل دع تحديهم وإلزامهم، فإنهم لا يستأهلون الخطاب لأنهم مقلدون متهافتون في الأمر لا عن خبر وتعقل ولو كان لهم وقوف على ما في تضاعيف القرآن من شواهد الإعجاز لعلموا أنه ليس مما يمكن أن يكون له نظير يقدر عليه المخلوق»⁽⁵⁾.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ الأنفال: 48، فقد بدأ المثل بالجملة الفعلية الخبرية الابتدائية ومن غير مؤكد، فالقوم غير منكرين لهذا الخبر يوم بدر وهم يعرفون ذلك، ولهم سابق علم به، وبالتالي فهذا ما يسمى بلزوم الفائدة، والغرض من هذا الإجراء الأسلوبي التنبيه والتحذير، وقيمته الأسلوبية «ليجمع لهم بين الأمر بما ينبغي والتحذير مما لا ينبغي»⁽⁶⁾.

كما يحمل على غرض التهكم، والقيمة الأسلوبية لهذا الغرض أنه يصور الشيطان وقد ملأ أفئدة المشركين بالإعجاب بأعمالهم، فاعتروا بها، ويؤكد لهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس ما دام جارا لهم، ثم يسلم قومه إلى القتل، ويفر غادرا بهم، ويرن في أذنك براءته منهم، معللاً ذلك بأنه يرى ما لا يرون، وبأنه يخاف الله، وفي ذلك التصوير من التهكم بهم ما فيه⁽⁷⁾.

وأيضاً في قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ النساء: 143، جملة فعلية فعلها وفاعلها محذوفان يقدران تقديراً إذا أخذنا المثل مفصلاً عن سياقه، وأما إن نظرنا لسياقه فتكون كلمة (مُذَبِّذِينَ) حال منصوبة من فاعل يراءون⁽⁸⁾، أو من فاعل يذكرون⁽⁹⁾ من قوله تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: 142. وقد تكون لفظة (مُذَبِّذِينَ) نصبت على الذم⁽¹⁰⁾، وبالتالي تكون الجملة فعلية خبرية وردت على ضروب الخبر الابتدائي من غير مؤكدات. الغرض منه الذم، لقوله: (مُذَبِّذِينَ): منصوب على الذم، أي: أذمهم⁽¹¹⁾.

1 - ينظر - البقاعي: نظم الدرر، 9 / 231.

2 - ينظر - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 11 / 171.

3 - ينظر - الألوسي: روح المعاني، 6 / 112.

4 - ينظر - الشوكاني: فتح القدير، 2 / 507.

5 - إسماعيل حقي: روح البيان، دار إحياء التراث العربي، 4 / 46.

6 - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 10 / 34.

7 - ينظر - أحمد البدوي: من بلاغة القرآن، ص: 298.

8 - محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 5 / 214. 215.

9 - الرازي: مفاتيح الغيب، 11 / 249.

10 - المرجع السابق، 11 / 249.

11 - علي بن الحسين الأصفهاني: إعراب القرآن، 2 / 742.

والقيمة الأسلوبية لهذا الغرض أنه يعطي «صورة فنية رائعة لحال المنافقين فهم أبدا في تأرجح واهتزاز لا يستقر ولا يثبت على حال وقد جاءت كلمات هذه الآية ومعانيها لتشارك في رسم هذه الصورة فالصفة (مذبذبين) ترسم بحرسها وإيقاعها الرجفة والاهتزاز الدائم الذي لا يستقر وقوله تعالى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء من التأرجح وعدم الثبات وهي صورة يتماثلها الخيال والحس بأروع مما يراه البصر وترسمه ريشة الفنان»⁽¹⁾.

كذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ التوبة: 48.. فقد بدأ المثل بجملة فعلية خبرية (جاء الحق)، وتلتها جملة فعلية (ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ)، وقد وردتا على ضرب الابتدائي من غير مؤكدات. وأما لفظ (حَتَّى) في هذا الموضوع وقعت حرف ابتداء، أي حرفا تستأنف بعده الجملة فيدخل على الجملة الاسمية والفعلية ومنها في حالة الماضي كما هو في مثلنا هذا⁽²⁾، والغرض منه التعليل⁽³⁾، على حسب سياق الآية كلها، ويرى الرازي أن الغرض هو التنبيه، وتكمن قيمته الأسلوبية كونه كونه ينبه «على أنه لا أثر لمكرهم وكيدهم ومبالغتهم في إثارة الشر، فإنهم منذ كانوا في طلب هذا المكر والكيد، والله تعالى رده في نحرهم وقلب مرادهم وأتى بضد مقصودهم، فلما كان الأمر كذلك في الماضي، فهذا يكون في المستقبل»⁽⁴⁾.

ومثل ما ذكرنا نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَّائُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ الأعراف: 163، فقد بدأ المثل بجملة فعلية خبرية ابتدائية من غير مؤكد والغرض منه بيان التحايل؛ فتكمن قيمته الأسلوبية في كشف تحايل بني إسرائيل للتخلص من أحكام الله، المتمثلة في أوامر الله والتحلل من نواهيه، وبذلك وضعوا سابقة "الحيل" في الشريعة والدين⁽⁵⁾. كما أن فيه قيمة أسلوبية أخرى، وهي تقريع بني إسرائيل وتوبيخهم وعد سوابق عصيانهم أي ليس عصيانهم إياك ببدع، فإن ذلك شنشنة قديمة فيهم⁽⁶⁾.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ الفرقان: 20، جملة فعلية خبرية وردت ابتدائية من غير مؤكد، الغرض منه التقرير⁽⁷⁾ وقيمته الأسلوبية تكمن في تقرير حقيقة تتمثل في أن الرجل فتنة للمرأة، والمرأة فتنة للرجل، والغني فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني، والفاجر فتنة للبر، والبر فتنة للفاجر، والكافر فتنة للمؤمن، والمؤمن فتنة للكافر⁽⁸⁾، وحال الفتنة في كلا كلا البعضين مختلف، فبعضها فتنة في العقيدة، وبعضها فتنة في الأمن، وبعضها فتنة في الأبدان، وهكذا⁽⁹⁾.

وهناك جمل أخرى وردت فعلية خبرية ابتدائية من غير مؤكد، وهناك جمل فعلية أخرى جاءت مدعمة بالمؤكدات، لأن المتلقين منكرين لما سيلقى عليهم، وخاصة فيما يتعلق بأمور الغيب، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ

1 - محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 5/ 216.

2 - ينظر - المرجع السابق، 10/ 354.

3 - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 10/ 219.

4 - الرازي: مفاتيح الغيب، 16/ 65.

5 - ينظر - محمد المكي الناصري: التيسير في أحاديث التفسير، 2/ 282.

6 - ينظر - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 9/ 147.

7 - ينظر - محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 18/ 319.

8 - ينظر - زين الدين عبد الرحمن: روائع التفسير، 2/ 210.

9 - ينظر - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 18/ 344.

مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ الفرقان: 42.. فالمثل بدأ بجملة فعلية خبرية مؤكدة بسوف؛ وسوف حرف استقبال⁽¹⁾، لأن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال⁽²⁾. والغرض من هذا الإجراء الأسلوبي الوعيد والتّهديد⁽³⁾، فلفظ (سوف) مما يستعمل في الوعيد كثيرا حتى صار كالحقيقة⁽⁴⁾، كالحقيقة⁽⁴⁾، وتكمن القيمة الأسلوبية في ذلك أن العذاب لا يفوته وإن طال مدة الإمهال، ولا بدّ للوعيد أن يلحقهم فلا يغترّهم التأخير⁽⁵⁾.

فهذه مجموعة الأمثال الكامنة التي وردت بالأسلوب الإخباري، وابتدأت بجملة فعلية، وقد بينها وذكرنا أغراضها، وأكثرها ورد من غير مؤكد، وقد أريد بها مجرد الإخبار، وفي أغلبها خرجت عن أغراضها الحقيقية إلى أغراض أخرى تمت الإشارة إليها في مواطنها، ثم بينا قيمتها الأسلوبية.

2 - الجمل الاسمية

أما عندما نقف مع الجمل الاسمية، فنجد أن منها ما ورد من غير مؤكد ابتداء، إلا ما تحمله الاسمية من تأكيد في ذاتها، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ الأعراف: 58.. فنرى أنها بدأت بـ(وَالْبَلَدُ) فهي اسمية خبرية من غير مؤكد إلا ما تحمله الجملة الاسمية من تأكيد في ذاتها، وأيضا معطوفة عليها جملة اسمية ثانية (وَالَّذِي) ثم بعد ذلك لحق التوكيد بالنفي مع التوكيد بالحصر في قوله (لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا). والغرض من هذا الإجراء الأسلوبي هو التذكير والإبطال، وتكمن القيمة الأسلوبية لهذين الغرضين بأنه جمع بين خطابين في خطاب واحد، كما جمع بين نبات الأرض والبعث فيكون التذكير للمؤمنين فهم أحياء ينتفعون برحمة الله، والإبطال لحجة المشركين الداعية لإنكار البعث فهم في حقيقتهم أمواتا.

ونفس الشيء عندما نقف مع المثل الكامن في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ البقرة: 179.. نراه بدأ بجملة اسمية خبرية صيغت ابتداء من غير مؤكدات معروفة، سوى اسمية الجملة، أو ما جاء من مؤكد معنوي بتقديم الخبر للاهتمام، وتأخير المبتدأ في لفظ «حياة» مبتدأ مؤخر⁽⁶⁾؛ ولكن أخرت لبيان أهمية القصص إلينا، وفي آخرها الجملة الإنشائية تحت ضرب النداء، «يا أُولِي» يا أداة نداء أولي منادى⁽⁷⁾، والغرض من هذا الإجراء الأسلوبي الارتداع، والقيمة الأسلوبية من هذا الغرض هو المحافظة على حياة الناس، يقول الأصفهاني: «أي يرتدع بالقصاص من يريد الإقدام على القتل فيكون في ذلك حياة الناس»⁽⁸⁾.

1 - مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 18 / 7.

2 - المرجع نفسه، 517 / 8.

3 - ينظر - محمد بن حسن المعروف بابن الصائغ : اللوحة في شرح الملحة، 114 / 1.

4 - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 14 / 14.

5 - الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 281 / 3.

6 - أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 74 / 1.

7 - المرجع نفسه والصفحة نفسها.

8 - الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص: 269، والأبياري: الموسوعة القرآنية، 157 / 8.

وأيضاً في المثل من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الأنعام:129، نرى المثل بدأ بجملة اسمية خبرية من غير مؤكدات سوى تأكيد اسمية الجملة. وبيان ذلك أن الكاف الأولى من قوله (كَذَلِكَ) اسم بمعنى (مثل) في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره ب(الأمر) أي: الأمر مثل تولية بعض الظالمين⁽¹⁾، والغرض من هذا الإجراء الأسلوبى التحذير والإنذار⁽²⁾. وتكمن قيمته الأسلوبية في يرسمه لسنة الله في الظالمين الذين يعتدون على العباد ويضيعون حقوقهم، بأن الله يسلط عليهم ظلمة آخرين يضربون على أيديهم، وينتقمون منهم شر انتقام.

وأيضاً في المثل من قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ هُمْ﴾ التوبة:47، اسمية خبرية غير مؤكدة بالمؤكدات المعروفة للخبر، سوى اسمية الجملة، أو ما جاء من مؤكد معنوي بتقديم الخبر للاهتمام، في قوله «فِيكُمْ» فهي خبر مقدم «سَمَاعُونَ» مبتدأ مؤخر⁽³⁾، والغرض منه التنبيه، والقيمة الأسلوبية لهذا التنبيه كما يقول ابن عاشور: «أن بغيتهم الفتنة أشد خطراً على المسلمين لأن في المسلمين فريقاً تنطلي عليهم حيلهم، وهؤلاء هم سذج المسلمين الذين يعجبون من أخبارهم ويتأثرون ولا يبلغون إلى تمييز التوبيهات والمكائد عن الصدق والحق»⁽⁴⁾.

وهناك ما ورد مؤكداً، فمنها ما هو طلبى، ومنها ما هو إنكارى، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ يونس:96 - 97. فالمثل بدأ بجملة اسمية مؤكدة ب(إِنَّ) وباسمية الجملة، وهناك تأكيد معنوي آخر وهو النفي مع صيغة المضارع الدالة على الاستمرار، ف(إِنَّ) للتوكيد المقصود به التحقيق، أي لا شك أن هؤلاء من أولئك فقد اتضح أمرهم، واليأس من إيمانهم. يقول أبو زهرة: «كان التأكيد في هذا الحكم ب(إِنَّ) المؤكدة بقوله تعالى: (لَا يُؤْمِنُونَ) تعبيراً بالمضارع دليلاً على أن الإيمان ليس من شأنهم، وأنهم لا يذعنون وليس من طبعهم أن يؤمنوا بشيء بل الجحود شأنهم»⁽⁵⁾.

والخطاب يتعلق بأهل الكتاب المعاندين فكان الغرض من هذا الإجراء الأسلوبى التيسيس، وتكمن قيمته الأسلوبية في بيان زمرة الفرق الذين حقت عليهم كلمة الله أن لا يؤمنوا، فهم لا تجدي فيهم الحجة لأنهم أهل مكابرة، وليسوا طالبين للحق لأن الفطرة التي فطرت عليها عقولهم غير قابلة لحقائق الإيمان، فالذين لم يؤمنوا بما يجيء من الآيات هم ممن علم الله أنهم لا يؤمنون، تلك أماراتهم.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ القصص:85. ورد المثل جملة اسمية خبرية مؤكدة بثلاثة مؤكدات أولها (إِنَّ)، ثم اسمية الجملة، مع التوكيد باللام المرحلقة - وهي لام الابتداء حينما تُرْخَلَقُ عن صدر الجملة الاسمية - في قوله: «لَرَأْدُكَ»، وهكذا نجد أن الأسلوب الإخباري القرآني - عموماً - كثيراً ما يعتمد على التوكيد، لتقرير المعاني والأفكار المساقة إلى المخاطبين قصد التأثير عليهم.

1 - ينظر - أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 1/ 335.

2 - محمد المكي: التيسير في أحاديث التفسير، 2/ 166.

3 - أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 1/ 460.

4 - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 10/ 218.

5 - أبو زهرة: زهرة التفاسير، 7/ 3634.

والغرض من هذا الإجراء الأسلوبي الإنكار والتنويه، فهذا الخطاب جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إنك في ضلال، فاستنكر الله عليهم ذلك، وبين أنه على الهدى، فيكون الخطاب خرج على مقتضى الظاهر بهذه المؤكدات لأنه موجه للمنكرين، وقيمتها الأسلوبية تتمثل في التنويه بشأن رسول الله، وتثبيت فؤاده ووعدده بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة، وهو المعنى المناسب للسياق، والمتسق معه أحسن اتساق.

وهناك ما جاء بثلاثة مؤكدات، وذلك في المثل من قوله تعالى: ﴿وَلَا آخِرُ خَيْرٍ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ الضحى:4. فالمثل بدأ بجملة اسمية إخبارية مؤكدة بثلاث مؤكدات؛ منها اسمية الجملة، ثم بلام الابتداء في لفظ (لآخرة) فاللام لام التأكيد، والثالث أنها مؤكدة باللام الزائدة في لفظ «لك» فهي لام جر زائدة، والمقام يحتاج لهذه المؤكدات تطميناً لفؤاد رسول الله، حين ظن بأن الله قد تركه بانقطاع الوحي عنه مدة من الزمن، وقد تشمت به المشركون وقالوا له بأن ربك قد قلاك، بمعنى تركك وتخلي عنك. وقبل أن نختم الأسلوب الإخباري لننتقل للأسلوب الإنشائي، لا بد وأن نقف على نوعين من أنواع الأسلوب الإخباري، وهما النفي والشرط، نظراً لورودهما بقدر معتبر في المثل الكامن، فهما ظاهرتان أسلوبيتان يحتاجان لبيان مستقل حتى يتضح حجمهما في هذا النوع من الأمثال، وإلا كان الأمر كافياً أن يندرجا ضمن المؤكدات عند الحديث عن الجملة الفعلية أو الاسمية.

3 - الجمل المنفية

نعود فنقول بأن النفي أو تكراره من مؤكدات الخبر، وقد ورد بشكل يحتاج للالتفات في المثل الكامن، ونعتبره بذلك سمة أسلوبية بارزة فيه، أو هو بمثابة إجراء أسلوبي يراد منه التوكيد، ولا بأس أن نذكر المواطن التي ورد فيها، سواء في بداية المثل أو داخل بنيته التركيبية، من ذلك:

قوله تعالى: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْزُرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ البقرة:68. بدأ المثل بجملة اسمية خبرية تفيد النفي، مع تكريره، ف(لا) الأولى للنفي، والثانية مزيدة لتوكيد الأولى، وهي أصل أدوات النفي، ولهذا يُنْفَى بها في أثناء الكلام، ولا تأتي بغير تكرار، لأن المستفاد منها النفي إذا دخلت على مفرد خبر أو صفة أو حال⁽¹⁾. فمتى وقعت قبل ما ذكرنا وَجَبَ تكريرها⁽²⁾. وأصل المثل هو جزء من سياق كامل فتفيد (لا) فيه النفي في المستقبل.

وأيضاً في المثل من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّاراً﴾ نوح:27. فقد بدأ المثل بجملة فعلية إخبارية سبقت بالنفي «ولا يلدوا» لا نافية ومضارع وفاعله⁽³⁾. والغرض من هذا التعليل⁽⁴⁾، أي تعليل نوح عليه السلام لما سيؤول إليه حال قومه من عدم الهداية والبقاء على الضلال حين طلب من الله إنزال عذاب الاستئصال عليهم⁽⁵⁾، فعلى طلبه بأن أولادهم إن ولدوا لا ينتظر منهم الاستماع إليه وأنهم سيكونون كفاراً، ولشدة يقينه بما سيكونون عليه في المستقبل اعتبرهم كفاراً منذ ولادتهم، ولو عبر عن هذا المعنى بلفظه الحقيقي لقال: ولم يلدوا إلا من سيكون فاجراً كفاراً، لكن التعبير على نسق الحقيقة يكون مبتذلاً؛ لأنه لا يوحى بمراده ولا بما يعتدل في نفسه بمثل هذه القوى، ويقوي هذا الإيحاء إفراغ المجاز في قالب القصر، فقد زاد في تأكيد النفي.

1 - ينظر - محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 27 / 119.

2 - ينظر - شهاب الدين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، 1 / 420.

3 - ينظر - أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 3 / 387.

4 - ينظر - مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 10 / 233.

5 - ينظر - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 29 / 213.

وأيضاً في المثل من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فاطر:43. بدأ المثل بجملة فعلية إخبارية بصيغة النفي «وَلَا يَحِيقُ» لا نافية. وأيضاً في المثل من قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة:256. بدأ المثل بجملة فعلية إخبارية بصيغة النفي «لَا إِكْرَاهَ» لا نافية.

وكما ورد النفي بـ(لا) ورد النفي بـ(ما) أيضاً، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ التوبة:74. بدأ المثل بجملة فعلية إخبارية بصيغة النفي «وَمَا نَقْمُوا» الواو حالية. ما نافية وجملة «نَقْمُوا» في محل نصب حال. «إِلَّا» أداة حصر. «أَنْ» حرف مصدري⁽¹⁾. والغرض الإنكار، وهو تسفيه لهم، واستنكار لهذا المنكر الذي هم فيه⁽²⁾، يراد به الذم كذلك، وهو ما يسمى في البلاغة العربية: تأكيد المدح بما يشبه الذم⁽³⁾. بيد أن كلام الله العلي الكبير فيه تأكيد ذمهم لا تأكيد مدحهم⁽⁴⁾. أي ما عابوا وأنكروا وكرهوا إلا ما هو حقيق بالمدح والثناء، وهو إغناء الله لهم من فضله. والاستثناء مفرغ من أعم العام فهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم، وقد كان هؤلاء المنافقون في ضيق من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اتسعت معيشتهم وكثرت أموالهم، فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم النعمة، وقيل إنهم بطروا النعمة أشراً⁽⁵⁾.

ومن النفي بـ(ما) ما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق:18. بدأ المثل بجملة فعلية إخبارية بصيغة النفي «مَا يَلْفِظُ» ما نافية. أي لنفي الحال، لأنها دخلت على المضارع «يَلْفِظُ» مضارع فاعله مستتر⁽⁶⁾. ومن النفي بـ(ما) - أيضاً - ما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ الأنفال:33. أسلوب إخباري، و(ما) نافية، فالمثل بدأ بجملة اسمية دخل عليها الناسخ (كان) وسبقه النفي، والمراد منه نفي تعذيبهم في الماضي والحال ورسول الله بينهم دون الاستقبال.

والغرض من مجيء هذا الأسلوب بهذه الصورة هو بيان سبب الإمهال، لأن قريشا دعت الله تعالى أن يهلكهم بعذاب من عنده يستأصل شأفتهم، فقالوا: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فلم يجبهم الله لذلك، وأمهلهم ما دام رسول الله فيهم وبين أظهرهم، قال البيضاوي: «بيان لما كان الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم»⁽⁷⁾.

وكما ورد النفي بـ(لا) و(ما) ورد النفي بـ(لن) أيضاً، ومن ذلك ما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَأْ﴾ الكهف:20. نرى بدأ المثل بجملة فعلية إخبارية بصيغة النفي «لَنْ تُفْلِحُوا»، فـ(لن) للنفي المؤكد، ويقول الزمخشري أنها للنفي المؤبد،

1 - ينظر - أحمد عبيد الدعاس : إعراب القرآن، 1/ 469.

2 - ينظر - عبد الكريم يونس الخطيب : التفسير القرآني للقرآن، 5/ 847.

3 - ينظر - الشوكاني فتح القدير، 2/ 437.

4 - أبو زهرة: زهرة التفاسير، 7/ 3380.

5 - ينظر - محمد صديق خان : فتح البيان في مقاصد القرآن، 5/ 351.

6 - ينظر - الدعاس: إعراب القرآن، 3/ 258. ومصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 9/ 288.

7 - البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 3/ 58. والألوسي: روح المعاني، 5/ 187.

ومهما يكن معنى لن فإن النفي مؤبد بقوله تعالى: أبداً⁽¹⁾، والغرض من هذا الإجراء الأسلوبي هو التعليل⁽²⁾، فالجملة الثانية (إذاً أبداً) مفصولة في البيان عن السابقة (وَلَنْ تُفْلِحُوا) لأنها في مقام التعليل، والتعليل بين جملتين من أسباب الفصل البياني بينهما، وإلا فهما منفصلتان في المعنى، إذ العلة متصلة بالمعلول⁽³⁾. كما أن الغرض يكون للتشديد والتحذير⁽⁴⁾ من الدخول في دينهم أي أي لن تنجوا من عذاب الله ولن تفوزوا بنعيمه الدائم ورضاه أبداً إذا دخلتم في ملتهم واعتقدتموها، وفي هذا أخذ الحذر من الأعداء.

وما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران: 92. بدأ المثل بجملة فعلية إخبارية بصيغة النفي «لَنْ تَنَالُوا»، (لن) حرف نفي ونصب واستقبال⁽⁵⁾، تخلص الفعل المضارع للمستقبل، بدل ما هو يصلح للزمن الحاضر إذا دخلت عليه صار للمستقبل، وقال علماء النحو والبلاغة أن (لن) لتوكيد النفي، وأن نفيها أبلغ من نفي لا. والغرض هو التحريض⁽⁶⁾، أي التحريض على الإنفاق وجعله من أعمال البر.

4 - الجمل الشرطية

الشرط ظاهرة أسلوبية بارزة في بنية المثل الكامن، فقد ورد هو - أيضا - في عديد من أمثلة المثل الكامن، بحيث لا يمكن تجاهله، أو التعرض له بلفتة عابرة دون تخصيص حيز له بالبيان والتوضيح؛ حيث يمكن اعتباره سمة أسلوبية واضحة في المثل الكامن، وما سنذكره من نماذج كاف في بيان ثقله وحجمه في الأسلوب الإخباري لهذا النوع من الأمثال.

منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان: 67.

فالمثل جاء جملة اسمية خبرية تلتها جملة شرطية «إذا» ظرف مستقبل يتضمن معنى الشرط. «لَمْ يُسْرِفُوا» جواب إذا أي جواب شرط غير جازم⁽⁷⁾.

وأيضاً ما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾ الأحقاف: 11. جملة شرطية بأسلوب خبري، وقد جرى الظرف مجرى الشرط فأدخلت الفاء (فَسَيَقُولُونَ)⁽⁸⁾، فكأن المعنى: إذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إنك قدس⁽⁹⁾. وهذا على قول من قال بذلك، يقول عباس حسن: «قد ينزل بعض الظروف منزلة أداة الشرط؛ فيحتاج الجملة بعدها جملة بمثابة الجواب، وقد تقتزن هذه بالفاء؛ كقوله تعالى: في منكري القرآن: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾».

1 - ينظر - أبي زهرة: زهرة التفاسير، 9 / 4510.

2 - ينظر - المرجع نفسه، 9 / 4509.

3 - ينظر - المرجع نفسه والصفحة نفسها.

4 - ينظر - أحمد بن محمد أبي العباس: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، 3 / 258.

5 - مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 1 / 563.

6 - ينظر - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 4 / 5.

7 - ينظر - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 7 / 44.

8 - ينظر - أبي البقاء الكفومي: الكليات، ص: 1074.

9 - ينظر - عثمان بن عمر بن الحاجب: أمالي ابن الحاجب، 1 / 215.

وعلى هذا قول ابن مالك في حكم "خلا وعدا"، في باب "الاستثناء" ⁽¹⁾. والغرض من هذا الإجراء الأسلوبي، هو: التعليل ⁽²⁾.

وأيضاً من الشرط، قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرَخُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ الأنعام: 44. فالجملة فعلية إخبارية شرطية «إذا» ظرفية شرطية غير جازمة «أَخَذْنَاهُمْ» جواب شرط غير جازم.

ومن الشرط في المثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ آل عمران: 135. جملة اسمية إخبارية تحمل معنى الشرط، (إذا) ظرف شرطي متعلق بالجواب ذكروا ⁽³⁾. والغرض منه الترغيب في التوبة والتحذير من القنوط، لذا كان جواب الشرط (ذَكَرُوا) ما يفيد اقترانه بالشرط، بمعنى ذكر الله يكون عند الارتكاب ولا يكون بينهما تراخ يجعل الشر يفرخ في النفس ⁽⁴⁾، أي أن الشخص الذي يدخل في جملة المتقين هو الذي يعود إلى ربه تائباً فور وقوع المعصية، بحيث لا يسوف ولا يؤخر التوبة حتى إذا حضره الموت ⁽⁵⁾.

وفي هذا الإجراء الأسلوبي إشارة إلى انفعال القلوب وإثارة النفوس، يقول النسفي: «فيه تطيب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته ن التائب وإشعار بأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم» ⁽⁶⁾.

ومن ذلك الشرط في المثل من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَزُونَ﴾ النحل: 53. جملة فعلية خبرية شرطية «وإذا» ظرف مستقبل يتضمن معنى الشرط. «تَجَاوَزُونَ» جواب إذا. وهو شرط غير جازم ⁽⁷⁾. والغرض من هذا الإجراء الأسلوبي الإنكار، الإنكار، حيث أنكر عليهم تخصيصهم بالجوار عند الضر في مقابلة تخصيص غيرهم بالاتقاء ⁽⁸⁾.

لأن الجأر إلى الله تعالى عند حصول الضر أعجب إخباراً من الإخبار بأن النعم كلها من الله ⁽⁹⁾. كما أنه يحتمل أن يكون الغرض منه التقريع ⁽¹⁰⁾. بمعنى: إذا أصابكم في أبدانكم سقم ومرض أو حاجة عارضة، أو شدة وجهد في العيش ووسائل الحياة، فإليه تصرخون بالدعاء وتستغيثون به ليكشف ذلك عنكم، علماً منكم أنه لا يقدر على إزالة ذلك إلا هو ⁽¹¹⁾.

1 - عباس حسن : النحو الوافي، 2 / 274.

2 - ينظر - ابن مالك: شرح التسهيل، 2 / 208.

3 - ينظر - محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 4 / 312.

4 - ينظر - أبي زهرة: زهرة التفاسير، ص: 1415.

5 - ينظر - الطنطاوي: التفسير الوسيط، 2 / 26.

6 - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 1 / 294.

7 - ينظر - أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 2 / 162.

8 - ينظر - الألوسي: روح المعاني، 7 / 405.

9 - ينظر - التحرير والتنوير، 14 / 177.

10 - ينظر - المرجع السابق 4 / 142.

11 - ينظر - مصطفى المراغي: تفسير المراغي، 14 / 93.

ومن الشرط في المثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُّهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ النساء: 100. أسلوب إخباري وجملة شرطية. (مَنْ) شرطية جازمة مبتدأ.. (يَجِدْ) جملة جواب الشرط في محل رفع خبر «مَنْ»⁽¹⁾، الغرض منه الترغيب⁽²⁾، وتكمن قيمة هذا الإجراء الأسلوب في الترغيب على الهجرة والتنشيط إليها.

ومن الشرط ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ النساء: 123. جملة إخبارية شرطية، «مَنْ» اسم شرط جازم غير مقتَرَن بالفاء، وهو مبتدأ «يُجْزَ» جواب الشرط مجزوم بحذف حرف العلة. وفعل الشرط وجوابه خبر «مَنْ»⁽³⁾. والغرض منه التعليل⁽⁴⁾. وذلك أن الربط بمن الشرطية يحمل معنى السببية فعمل السوء ممن يعمل به سبب في أن يجزى بالسوء. ف«اللَّهُ أُوْعِدُ المفسدين بالشر، ووعد الصالحين بالثواب العظيم والنعيم المقيم، ولكن الأماني تتحكم في النفوس، فتتمنى ما لم تعمل له، وتسير وراء ما تتمنى من غير أن يربطوا بين العمل والجزاء، والسبب والمسبب، فنبه سبحانه إلى ذلك»⁽⁵⁾.

ومن الشرط في المثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ الكهف: 17. فعلية إخبارية شرطية «مَنْ» شرطية «فَهُوَ» الفاء رابطة «الْمُهْتَدِ» جواب الشرط. «وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ». شبيهة بإعراب سابقتها.

ومن الشرط في المثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا﴾ الزخرف: 36. فعلية إخبارية شرطية «مَنْ» اسم شرط. «نُفِيضٌ» جواب الشرط.

ولم يرد الشرط ب(من) و(إذا)؛ بل ورد أيضا ب(لو)، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء: 22. جملة فعلية خبرية شرطية.

ف«لَوْ» شرطية امتناعية غير جازمة، «لَفَسَدَتَا» اللام واقعة في جواب لو، وماض، والتاء تاء التانيث، والألف فاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم⁽⁶⁾.

والغرض منه الإبطال، يقول الألوسي: «إبطال لتعدد الإله»⁽⁷⁾.

ويقول ابن عاشور: «... منتظمة على ما يناسب اعتقادهم الباطل لكشف خطئهم وإعلان باطلهم»⁽⁸⁾.

ومن الشرط في المثل - أيضا - ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ الأنعام: 28. فعلية إخبارية شرطية، ف«لَوْ» شرطية، وجملة «لَعَادُوا» جواب شرط غير جازم.

1 - أحمد عبيد لدعاس: إعراب القرآن ، 1 / 217.

2 - الألوسي: روح المعاني، 3 / 123.

3 - ينظر - أحمد عبيد لدعاس: إعراب القرآن ، 1 / 224 .

4 - ينظر - محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 5 / 180.

5 - أبو زهرة: زهرة التفاسير، ص: 1869.

6 - ينظر - أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 2 / 283.

7 - الألوسي: روح المعاني، 9 / 23.

8 - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 17 / 39.

ومن الشرط - كذلك - ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ آل عمران:159. فعلية إخبارية شرطية، ف«لَوْ» شرطية، واللام واقعة في جواب لو وانفَضُّوا «لَانْفَضُّوا» جواب شرط غير جازم.

ومن الشرط ب«لَوْ» ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ الأنفال:23. فعلية إخبارية شرطية، ف«لَوْ» شرطية، واللام واقعة في جواب لو، أسمع «لَأَسْمَعَهُمْ» جواب شرط غير جازم.

ومن الشرط ما جاء بأداة (أَيْنَمَا) كما هو المثل من قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا يُوجَّهْ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ النحل:76. جملة خبرية شرطية؛ ف(أَيْنَ) اسم شرط جازم⁽¹⁾ (ما) حرف زائد إعراباً مؤكداً للمعنى. (يأت) مضارع مجزوم جواب الشرط⁽²⁾ والغرض منه بيان عدم الجدوى⁽³⁾.

ومن الشرط ما جاء بأداة (إِنْ) كما هو المثل من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ آل عمران:120، فعلية إخبارية شرطية. «وَإِنْ» الشرطية. «يَفْرَحُوا» جواب الشرط.

وأيضاً مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَوَّدُوا نَعْدَ﴾ الأنفال:19. فعلية إخبارية شرطية «إِنْ» حرف شرط جازم. «نَعْدُ» جواب الشرط.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ الإسراء:8. فعلية إخبارية «إِنْ» حرف شرط جازم، «عُدْنَا» جواب شرط لم يقتزن بالفاء.

ثالثاً - تشكل الأسلوب الإنشائي في المثل الكامن

وعندما نقف مع الأسلوب الإنشائي نجده ورد في المثل الكامن بأقل مما عليه الأسلوب الإخباري، سواء من حيث الابتداء به، أو داخل التركيب المثلي، وقد تمثلت فيه صيغ الإنشاء المعروفة، من الأمر والنهي والاستفهام والنداء، وجاءت متقاربة من حيث العدد، وأقلها وروداً النداء، ولم نلاحظ فيه أي نوع من التمني لا في بداية المثل ولا في صميم بنيته، وأول ما نبدأ به الأمر ثم نبتع بالباقي على الترتيب الذي ذكرناه.

1 - أسلوب الأمر

فيما يتعلق بالأمر من الأسلوب الإنشائي نلاحظ أن بعض الأمثال بدأت بصيغة الأمر وبعضها الآخر جاء الأمر في ثنائه، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ آل عمران:30. فالمثل بدأ بجملة فعلية إنشائية لفعل أمر محذوف تقديره: اذكر يوم⁽⁴⁾.

أو اتقوا يوم⁽⁵⁾، و«يَوْمَ» مفعول فيه ظرف زمان معلق بفعل محذوف تقديره اذكر⁽⁶⁾. والغرض من هذا الإجراء الأسلوب هو الترغيب والترهيب⁽¹⁾.

1 - ينظر - مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 5/ 340.

2 - ينظر - الجدول في إعراب القرآن، 14/ 359.

3 - ينظر - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 14/ 228.

4 - ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص: 699.

5 - الطبري: جامع البيان، 6/ 319.

6 - ينظر - أحمد عبيد الدعاس إعراب القرآن، 1/ 131.

ومن صيغ الأمر ما نلاحظه في المثل من قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ الأعراف:31. حيث نرى المثل بدأ بجملة فعلية إنشائية فيها الأمر ثم أردفه النهي. فتمثل الأمر في قوله: (وَكُلُوا)، (وَاشْرَبُوا)، والنهي في قوله: (وَلَا تُسْرِفُوا). وهنا نرى بأن الجملتين اتفقتا في الإنشائية لفظاً ومعنى⁽²⁾. أي: كونها جملاً إنشائية؛ واردة إما بصيغة الأمر، وإما بصيغة النهي، ومعناها جميعاً على الإنشاء، ومن ثم حسن العطف فوصل بينها. والغرض من هذا الإجراء الأسلوب هو الإبطال، والقيمة الأسلوبية لهذا الغرض تكمن في «إبطال التحريم الذي جعله أهل الجاهلية بأنهم نقضوا به ما تقرر في أصل الفطرة مما أمر الله به بني آدم كلهم، وامتن به عليهم، إذ خلق لهم ما في الأرض جميعاً»⁽³⁾.

ومن صيغ الأمر - كذلك - ما نلاحظه في المثل من قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ مريم:75. بدأ المثل بجملة فعلية إنشائية بدأت بفعل الأمر «قُلْ» فهو أمر فاعله مستتر⁽⁴⁾ وبعده جملة الشرط (من) اسم شرط مبتدأ. وجملة «فَلْيَمْدُدْ» جواب الشرط، واللام لام الأمر الجازمة⁽⁵⁾، استعملت مجازاً في لازم معنى الأمر، أي التحقيق⁽⁶⁾، وهذا النوع من الأسلوب في قوله: «فَلْيَمْدُدْ» يبدأ بالإنشاء أي إطلاق الأمر ويراد به الإخبار مجازاً. «معناه: فسيمد له الرحمن مداً، أو فليمدن الرحمن مداً»⁽⁷⁾. أي أن ذلك واقع لا محالة على سنة الله في إمهال الضلال، إعداراً لهم⁽⁸⁾. والغرض منه التعجب⁽⁹⁾.

وأيضاً من صيغ الأمر في المثل الكامن ما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الحجر:3. نرى المثل بدأ بجملة فعلية إنشائية بصيغة الأمر، في لفظ (ذَرَهُمْ) ف(ذَرْ) فعل أمر، و(هُمْ) ضمير متصل، والغرض من هذا الإجراء الأسلوب التهديد والوعيد⁽¹⁰⁾، كما يمكن أن يكون الغرض التوبيخ والإنذار⁽¹¹⁾، بقرينة قوله: فسوف يعلمون.

كذلك الأمر مع المثل في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ التوبة:105.

بدأ المثل بجملة فعلية إنشائية بدأت بفعل الأمر «قُلْ» أمر فاعله مستتر «اعملوا» أمر وفاعله.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ المائدة:100، بدأ بجملة فعلية إنشائية بصيغة الأمر «قُلْ» أمر فاعله مستتر وبعده جملة نفي «لَا يَسْتَوِي» وبعدها جملة شرطية «وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ». فهذه هي أهم المواطن التي وردت بصيغة الأمر في المثل الكامن، والآن ننتقل لصيغة النهي، وهي كذلك وردت تقريباً بنفس المقدار الذي وردت به صيغة الأمر، فبينهما تماثل من حيث الورد.

- 1 - الرازي: مفاتيح الغيب، 8/ 195.
- 2 - ينظر - حامد عوني: المنهاج الواضح للبلغة، 2/ 123.
- 3 - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 8-ب/ 94.
- 4 - ينظر - أحمد عبيد الدعاس إعراب القرآن، 2/ 250.
- 5 - ينظر - أحمد بن محمد الخراط: المجتبى من مشكل إعراب القرآن، 2/ 679.
- 6 - ينظر - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 16/ 156.
- 7 - عثمان بن جني أبو الفتح: المنصف، ص: 317.
- 8 - ينظر - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 16/ 156.
- 9 - ينظر - ابن مالك الطائي: شرح تسهيل الفوائد، 3/ 36.
- 10 - الطبري: جامع البيان، 13/ 285.
- 11 - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 14/ 14.

2 - أسلوب النهي

فمن صيغ النهي ما نلاحظه في قوله تعالى لنبيه في شأن الصلاة: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ الإسراء: 110، فنلاحظ المثل قد بدأ بجملة فعلية إنشائية بصيغة النهي؛ فقلوه: «وَلَا تَجْهَرُ» الواو عاطفة ولا ناهية جازمة «تَجْهَرُ» مضارع مجزوم. «وَلَا تُخَافِتْ» مثل إعرابها⁽¹⁾. ف(لا) حرف جزم يفيد طلب الكف عن القيام بالفعل، وهذا الحرف يدخل يدخل على الفعل المضارع، وغالبا ما يدخل على الفعل المسند إلى المخاطب⁽²⁾. وهنا النهي نراه ورد على حقيقته، وهو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام⁽³⁾.

ومن صيغ النهي في المثل الكامن ما وارد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ الإسراء: 29. بدأ المثل بجملة فعلية إنشائية بصيغة النهي، فقلوه: «وَلَا تَجْعَلْ» الواو عاطفة ولا ناهية «تَجْعَلْ» مضارع مجزوم بلا الناهية. وأيضا في قوله: «وَلَا تَبْسُطْهَا» معطوف على ولا تجعل وإعرابها مثلها⁽⁴⁾. والغرض منه التعريض للأمة والتعليم لها⁽⁵⁾، وهذا الإجراء الأسلوبى تكمن قيمته في تعلم حقيقة الاعتدال عند الإنفاق، وجاء نظم المثل على سبيل التمثيل فصيغت الحكمة في قالب البلاغة⁽⁶⁾.

ومن صيغ النهي في المثل الكامن ما وارد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ البقرة: 35. بدأ المثل بجملة فعلية إنشائية بصيغة النهي ف(لا) ناهية جازمة⁽⁷⁾. قال الزجاج وهو: «جزم بالنفي»⁽⁸⁾. والغرض من هذا الإجراء الأسلوبى هو التنبيه، ولذا أردفه بماء التنبيه في اسم الإشارة (هذه)، وقيمتها الأسلوبية كما يقول البيضاوي: «تنبيهاً على أن القرب من الشيء يورث داعية، وميلاً يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع»⁽⁹⁾. كما أنه يمكن أن يكون الغرض هو الاختبار، فهو: «نهي أريد به اختبار آدم وحواء»⁽¹⁰⁾.

ومن صيغ النهي في المثل الكامن ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُلْوَموني وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ﴾ إبراهيم: 22. بدأ المثل بجملة فعلية إنشائية مصدرة بالنهي (لَا تُلْوَموني) «لا» ناهية «تُلْوَموني» مضارع مجزوم بلا الناهية، وآخرها جملة إنشائية أيضا بصيغة الأمر (لَوْمُوا) فعل أمر وفاعله، فنلاحظ أن النهي هنا خرج عن حقيقته؛ فهو ليس من الأعلى للأدنى على وجه الاستعلاء حتى

1 - ينظر - أحمد عبيد الدعاس إعراب القرآن ، 2 / 207.

2 - ينظر - ظاهر شوكت البياتي: أدوات الإعراب، ص: 189.

3 - ينظر - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 76.

4 - أحمد عبيد الدعاس إعراب القرآن ، 2 / 188.

5 - ينظر - الشوكاني: فتح القدير، 3 / 264.

6 - ينظر - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 15 / 84.

7 - ينظر - أحمد عبيد الدعاس إعراب القرآن ، 1 / 21.

8 - الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، 1 / 114.

9 - البيضاوي: أنوار التنزيل، 1 / 72.

10 - مجمع البحوث: التفسير الوسيط، 1 / 79.

يستوجب الإلزام، لذا كان الغرض منه الإبطال، أي: «إبطال لإفراذه باللوم، أو لابتداء توجيه الملام إليه في حين أنهم أجدر باللوم أو بابتداء توجيهه»⁽¹⁾.

ومن صيغ النهي قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ المائدة: 101. بدأ المثل بجملة فعلية إنشائية بصيغة النهي «لَا تَسْأَلُوا» مضارع مجزوم بلا الناهية. وآخره جملة إخبارية بصيغة الشرط (إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ)، فـ«إِنْ» الشرطية، و«تَسْؤُكُمْ» جواب الشرط. والنهي هنا عن حقيقته من الأعلى للأدنى على وجه الاستعلاء، يراد منه وجوب للالتزام، فقد ورد النهي عن الشيء الذي لم يكن لهم بهم حاجة وتركه حتى يأت وقته أو ينزله الله من غير أن يسألوا عند اقتضاء أمره. فهذه هي أهم صيغ النهي التي وردت في الأمثال الكامنة، وننتقل بعدها للاستفهام.

3 - أسلوب الاستفهام

فيما يتعلق بصيغة الاستفهام نبدأ بقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطُمِئِنَّ قَلْبِي﴾ البقرة: 260. بدأ المثل بجملة فعلية إنشائية تمثلت في الفعل الماضي (قال) وكان مقوله جملة استفهامية تمثلت في قوله: (أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ) فهي جملة مقول القول (الهمزة) للاستفهام التقريري على هذه الحالة⁽²⁾، لأنَّ الاستفهام إذا دخل على النفي، قرَّره⁽³⁾، والجملة جاءت مستأنفة بمثابة التقرير للواقع، أي: أتسأل ولم تؤمن⁽⁴⁾، والواو عاطفة (لم) حرف نفي وقلب وحزم⁽⁵⁾.

وهذا الإجراء الأسلوبى غرضه التقرير قصد إثبات الإيمان المنفي، لأن قوله (أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ) بمثابة (لَمْ تُؤْمِنْ) ولهذا جاء الجواب بـ (بلى) لأن بلى لا تأتي إلا بعد نفي؛ فهي حرف جواب يقصد به الإيجاب بمعنى (نعم)، ويكون جواباً في حالة الإيجاب على السؤال المتبوع بنفي⁽⁶⁾.

فقوله: (بلى) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير الإيمان، وأتى بـ: «بلى» التي هي حرف جواب لثبت الإيمان المنفي⁽⁷⁾، والمقصود من هذا السؤال أن يجيب بما أجاب به؛ ليعلم السامعون أنه - عليه الصلاة والسلام - كان مؤمناً بذلك عارفاً به، وأن المقصود من هذا السؤال شيء آخر⁽⁸⁾. لأن الاستفهام إنما هو عن أمر متقرر الوجود عند السائل والمسئول على السواء⁽⁹⁾.

1 - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 13/ 219.

2 - ينظر - محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 3/ 40.

3 - ينظر - ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، 4/ 365.

4 - ينظر - مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 1/ 402.

5 - ينظر - محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 3/ 40.

6 - ينظر - ظاهر شوكت البياتي: أدوات الإعراب، ص: 70.

7 - ينظر - مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 1/ 402.

8 - ينظر - الرازي: مفاتيح الغيب، 7/ 36.

9 - ينظر - مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 1/ 402.

وعليه فالجملة مستأنفة بمثابة التقرير للواقع، أي: أتسأل ولم تؤمن، والهمزة للاستفهام التقريري، لأن التقرير منسحب على الجملة المنفية، ولذلك كان الجواب: ببلى، وقد تقرر في علم النحو أن جواب التقرير المثبت، وإن كان بصورة النفي، تجزئه العرب مجرى جواب النفي المحض، فتجيبه على صورة النفي، ولا يلتفت إلى معنى الإثبات.

كما أنه يمكن أن نستشف من هذا الإجراء الأسلوبى غرضاً آخر، وهو: تنبيه وإرشاد إلى ما ينبغي أن يقف عنده الإنسان ولا يعدوه، فإن الإيمان بهذا السر الإلهي والتسليم فيه لخبر الوحي، هو غاية ما يطلب من البشر، ولو كان وراء ذلك سبيل آخر لبينه الله تعالى⁽¹⁾.

ومن صيغ الاستفهام - أيضاً - ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يوسف: 64. جاء المثل جملة فعلية (قَالَ) فعل ماضٍ، والفاعل هو أي يعقوب عليه السلام، يتخللها جملة إنشائية استفهامية (هَلْ آمَنْتُمْ)، وهي جملة مقول القول، مستأنفة جواب سؤال مقدر⁽²⁾. (هل) حرف استفهام وفيه معنى النفي⁽³⁾.

والاستفهام - هنا - إنكاري⁽⁴⁾. فيه معنى النفي، فهو يستفهم عن وجه التأكيد⁽⁵⁾ لإنكار الوقوع، وهو وقوع الأمن، أي أي ليس أمني عليه منكم، إلا كأمني على يوسف منكم، وقد كانت نتيجة الأمن في الماضي أن جئتم تبكون، وتقولون أكله الذئب، فلستم أنتم الذين تحفظون أحاكم⁽⁶⁾.

فقد استنكر عليهم طلبهم في تسليم بنيامين وهم من ضيع يوسف وكادوا له. فمن لم يحفظ العهد في الأول لا يحفظه في الثاني. وهذا يبين ما في نفس يعقوب من خوف على ابنه بنيامين وما يحمله من وجد اتجاههم لما لم يحفظوا عهده. وهي حال نفسية تبعث على القلق وعدم الارتياح نحوهم. والمعنى أنكم ذكرتم قبل هذا الكلام في يوسف وضمنتم لي حفظه حيث قلت: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ثم هاهنا ذكرتم هذا اللفظ بعينه فهل يكون هاهنا أمني إلا ما كان هناك يعني لما لم يحصل الأمان هناك فكذلك لا يحصل هاهنا⁽⁷⁾.

كما أن النوع من الاستفهام يمكن أن يخرج عن أصله أيضاً ويراد منه التوقيف والتقرير⁽⁸⁾ فهو لم يصرح بمنعهم من حمله لما رأى في ذلك من المصلحة، لكنه أعلمهم بقلة طمأنينته إليهم، ولكن ظاهر أمرهم أنهم قد أنابوا إلى الله سبحانه، وانتقلت حالهم، فلم يخف على يامين، كخوفه على يوسف⁽⁹⁾.

1 - ينظر - مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ص: 503.

2 - ينظر - مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 5/ 17.

3 - ينظر - محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 13/ 21.

4 - ينظر - الألوسي: روح المعاني، 7/ 12.

5 - ينظر - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 13/ 16.

6 - ينظر - أبو زهرة: زهرة التفاسير، 7/ 3839.

7 - ينظر - الرازي: مفاتيح الغيب، 18/ 479.

8 - ينظر - الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 3/ 336.

9 - ينظر - المرجع نفسه والصفحة نفسها.

ومن صيغ الاستفهام في المثل الكامن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ﴾ الفرقان: 20. الاستفهام في: (أَنْتَصِرُونَ) فالأسلوب إنشائي والهمزة للاستفهام، ومعنى الاستفهام هنا ليس على حقيقته؛ بل يراد منه الأمر، أي: اصبروا⁽¹⁾.

«كثيرا ما يتلطف المتكلم بالمخاطب فيوجه له الأمر بأسلوب الاستفهام، والأمر يشمل كل ما تستعمل له صيغة الأمر من تكليف، أو نصيحة، أو موعظة، أو إرشاد، أو دعاء، أو التماس، أو غير ذلك»⁽²⁾.

والغرض من هذا الإجراء الأسلوبي الترغيب والتحريض، والمراد اصبروا في ابتليت بعضكم ببعض⁽³⁾. كما أنه مع السياق قد يراد منه التقرير⁽⁴⁾. كما هو مقرر في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾.

ومن صيغ الاستفهام في المثل الكامن - كذلك - ما جاء في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ الإنسان: 1. فالمثل بدأ بجملة إنشائية بصيغة الاستفهام يراد منها الإخبار، قال الرازي: «لأن الاستفهام، إنما يجاب بلا أو بنعم، فإذا كان المراد هو الخبر، فحينئذ يحسن ذلك الجواب الثاني: أن الاستفهام على الله تعالى محال فلا بد من حمله على الخبر»⁽⁵⁾. (فهل) حرف يفيد الاستفهام ومعنى التحقيق، وهو بمعنى «قد»⁽⁶⁾. كما أنها تكون على معناها الأصلي الذي الذي هو التقرير⁽⁷⁾. وعلى ذلك فإن كان الاستفهام بمعناه الأصلي، فالغرض هو التقرير والتوبيخ⁽⁸⁾، وهو تقرير لمن أنكر البعث البعث فلا بد أن يقول نعم قد مضى دهر طويل لا إنسان فيه⁹. وإن كان الاستفهام بمعنى «قد» فالغرض هو التشويق⁽¹⁰⁾.

بمعنى: قد أتى على الإنسان حين من الدهر. ويبيّن ابن عاشور المغزى من هذا فيقول: «وتقدم هذا الاستفهام لما فيه من تشويق إلى معرفة ما يأتي بعده من الكلام»⁽¹¹⁾.

وآخر ما نقف عنده في صيغ الاستفهام في المثل؛ قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ هود: 81. فالجملة اسمية إنشائية دخل عليها الناسخ (ليس) وسبق باستفهام يتمثل في الهمزة، ويراد منه الإخبار، والهمزة (أ) للاستفهام التقريري، أي: بلى إنه لقريب. وهذا الاستفهام يستعمل للنفي، ولكن هذا النفي دخل عليه إثبات، وهو حرف الباء التي إذا جاءت في خبر المنفي بأسلوب الاستفهام (أليس) لم تكن لتأكيد النفي، بل تخرجه بيانياً من النفي، إلى تقرير ملزم وإثبات مؤكد، وفي هذا الأسلوب تلزم الخبر الباء المقول بزيادتها. بمعنى زائدة في الخبر المنفي، وقد جاء بهذه أسلوب المثل بهذه الصيغة لتأكيد الوقوع، وقد أكد بالباء ثم كان العذاب الشديد المبيد بعدها. فهذه أهم المحطات التي ورد فيها الاستفهام في أمثلة الكامن قد أتينا عليها وبينها.

1 - ينظر - مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 6/ 685.

2 - حبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 288.

3 - ينظر - الألوسي: روح المعاني، 9/ 443.

4 - ينظر - الرازي: مفاتيح الغيب، 24/ 447.

5 - الرازي: مفاتيح الغيب، 30/ 739.

6 - ينظر - ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة، ص: 64.

7 - ينظر - مكي القيسي: مشكل إعراب القرآن لمكي، 2/ 781.

8 - ينظر - مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 10/ 312.

9 - ينظر - المرجع نفسه والصفحة فسها.

10 - ينظر - أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 3/ 406.

11 - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 29/ 371.

4 - أسلوب النداء

ويرد ثلاث مرات في الأمثال الكامنة، مرتين ورد محذوفاً، ومرة مذكوراً، فمن قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ الأعراف:143. فالمثل بدأ بجملة فعلية خبرية (قَالَ) وردت ابتدائية من غير مؤكد، وبعدها جملة إنشائية هي مقول القول، تتمثل في النداء المقدر في «رَبِّ» فهي منادى مضاف محذوف منه حرف النداء⁽¹⁾، وحرف النداء المحذوف هنا هو الياء لأنها الوحيدة التي تحذف⁽²⁾.

والنداء الثاني قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ التحريم:11. فالمثل بدأ بجملة فعلية خبرية (قَالَتْ) وردت ابتدائية من غير مؤكد، وبعدها جملة إنشائية هي مقول القول، تتمثل في النداء المقدر في «رَبِّ» منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة⁽³⁾.

وأما ما ورد فيها النداء مذكوراً غير محذوف ففي المثل من قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ البقرة:179. فقد بدأ المثل بجملة اسمية خبرية، فلفظ «حَيَاةٌ» مبتدأ مؤخر⁽⁴⁾، فصيغت كما نرى ابتدائية من غير مؤكد، ولكن في آخرها جاءت الجملة الإنشائية تحت ضرب النداء، في قوله «يا أُولِي» فالياء أداة نداء، وأولي منادى⁽⁵⁾.

الخاتمة

وبعد كل هذه الجولة الاستقرائية التحليلية يمكن القول بأن الأمثال الكامنة ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم، لها مميزاتها وخصائصها، ومن ذلك التشكل الأسلوبى الذي شاهدناه من خلال عرضنا، وقد تمحورت نتائجه فيما يلي:

- الأمثال الكامنة الثلاث منها ورد ابتداء بصيغة الجملة الفعلية، والثالث الباقي ورد بصيغة الجملة الاسمية، وأغلبها - إلا القليل منها - لا تخلو من جمل أخرى داخل تركيبها، وقد توزعت بين الأسلوبين الإخباري والإنشائي، مع غلبة الأول عن الثاني، مع شيء من التنوع والشراء في كلا الأسلوبين، وهذا اقتضته طبيعة المثل الكامن، لأنه مقتبس حسب المعنى من مواطن مختلفة من القرآن الكريم، وليس له قالب معين يضبطه، وبالتالي تنوع بتنوع أساليب القرآن الكريم.

- مجمل الأمثال الكامنة التي وردت بالأسلوب الإخباري، وابتدأت بصيغة الجمل الفعلية أو الجمل الاسمية، أكثرها ورد من غير مؤكد، سوى ما تحمله الجملة الاسمية من تأكيد في ذاتها لا تحمله الجملة الفعلية، ومنها ما ورد بالمؤكدات المختلفة، ومنها ما جاء بتوكيد النفي أو بالصيغة الشرطية - كما هو الحال مع الجملة الفعلية أيضاً - وهي ذات ثقل واعتبار من حيث العدد في المثل الكامن.

1 - ينظر - مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 3/ 449.

2 - ينظر - الغلايينى: جامع الدروس العربية، 3/ 156.

3 - ينظر - أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 3/ 360.

4 - ينظر - أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 1/ 74.

5 - ينظر - المرجع نفسه والصفحة نفسها، 1/ 74.

- أغلب الأساليب الإخبارية خرجت عن أغراضها الحقيقية إلى أغراض أخرى بلاغية مختلفة، يقتضيها السياق والقارئ، كالتوبيخ، والتقريع، والذم، والتهكم، والتعليل، والتقرير، والتنبيه، والاعتبار، والتحذير، والإنذار، والإنكار، والتحقيق، والتعليل، والتئيس، والتحريض، والتذكير، والإبطال، والارتداد، والترغيب، وبيان سنة الله في المخلوقات، وبيان الطلب الرؤية والتحليل.. وقد تمت الإشارة إليها في مواطنها.

- الأسلوب الإنشائي أقل مما عليه الأسلوب الإخباري، سواء من حيث الابتداء به، أو داخل التركيب المثلي، وقد تمثلت فيه صيغ الإنشاء المعروفة، من الأمر والنهي والاستفهام والنداء، وكانت متماثلة ومتقاربة من حيث العدد، وأقلها ورودا النداء، ولم نلاحظ فيه أي نوع من التمني؛ لا في بداية المثل ولا في صميم بنيته.

- وقد خرج الأسلوب الإنشائي في أغلبه عن أصله لأغراض أخرى، والتي منها: الترغيب، والتحريض، والترهيب، والتهديد، والوعيد، والإبطال، والتعجب، والتوبيخ، والإنذار، والتعريض، والتعليم، والتنبيه، والإرشاد، والاختبار، والتوقيف، والتقرير، التشويق.

- المثل الكامن في القرآن الكريم تُفهم دلالاته من خلال السياق الوارد فيه قبل العلاقات القائمة بين وحدات تركيبه، لأنه لا يحمل في أصله سمات المثل، ولا الاستقلالية الكافية، ولكن تظهر دلالاته بالمقاربة مع المثل العربي في المعنى، أو حينما يشيع في الاستعمال بين الناس، فكان لزاما من هذا الإجراء الأسلوبي في التعدد والتغير ليتكفل بالموضوعات الكبيرة التي يحويها المثل وتوسع لها بنيته ويتحملها أسلوبه المتنوع بعلاقاته وروابطه القائمة بين جملة، متفاعلة مع الأنساق الأسلوبية الأخرى في النص القرآني.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ): معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988م.
- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي: روح البيان، دار إحياء التراث العربي.
- أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: 1384هـ): من بلاغة القرآن، نخضة مصر - القاهرة، عام النشر: 2005.
- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال: المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام النشر: 1426هـ.
- أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجزي الفاسي الصوفي أبو العباس (ت: 1224هـ): البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: 1419 هـ.

- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ): الكليات تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي أبو عبد الله (ت: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ودار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1376هـ - 1957م.
- جمال الدين، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، ابن هشام (ت: 761هـ) : مغني اللبيب عن كتب الأعراب، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، 1985.
- حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث.
- الحسين بن الفضل (ت : 282هـ): الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، تحقيق: الدكتور علي حسين البوّاب، مكتبة التوبة - الرياض، الطبعة الأولى سنة: 1412هـ - 1992م.
- زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت: 795هـ): روائع التفسير، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1422 - 2001 م.
- شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، أبو العباس، المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.
- عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي أبو بكر بن أبي شيبة، (ت: 235هـ) : الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، 1409هـ.
- عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ): التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة.
- علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي أبو الحسن (ت: 468هـ): التفسير الوسيط ، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرة، وأحمد عبد الغني الجمل، وعبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994م.
- ظاهر شوكت البياتي: أدوات الإعراب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2005م.
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة: 1984هـ.
- محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: 1376هـ): الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1418هـ.

- محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: 1376هـ): الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1418هـ.
- محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري أبو عبد الله (ت: 606هـ): مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420هـ.
- محمد المكي الناصري (ت: 1414هـ): التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985 م.
- محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: 1403هـ): إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، 1415هـ.
- محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (ت: 720هـ): الملحة في شرح الملحة، المحقق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2004م.
- محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله أبو القاسم (ت: 538هـ): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407هـ.
- الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت: 502هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412هـ.
- مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين: الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: 1423 هـ - 2002م.
- محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ): زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
- محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي أبي الطيب (ت: 1307هـ): فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدّم له وراجعته: خادِم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م.
- محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: 672هـ): شرح التسهيل لابن مالك، المحقق: د. عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى (1410هـ - 1990م).
- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418هـ.
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.
- مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت: 1364هـ): جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة: الثامنة والعشرون، 1414 هـ - 1993م.

- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418هـ.